مجلة كلية الدعوة الإسلامية

العدد التاسع عشر
2002

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1370 من وفاة الرسول ﷺ 2002 من ميلاد المسيح عليه السلام

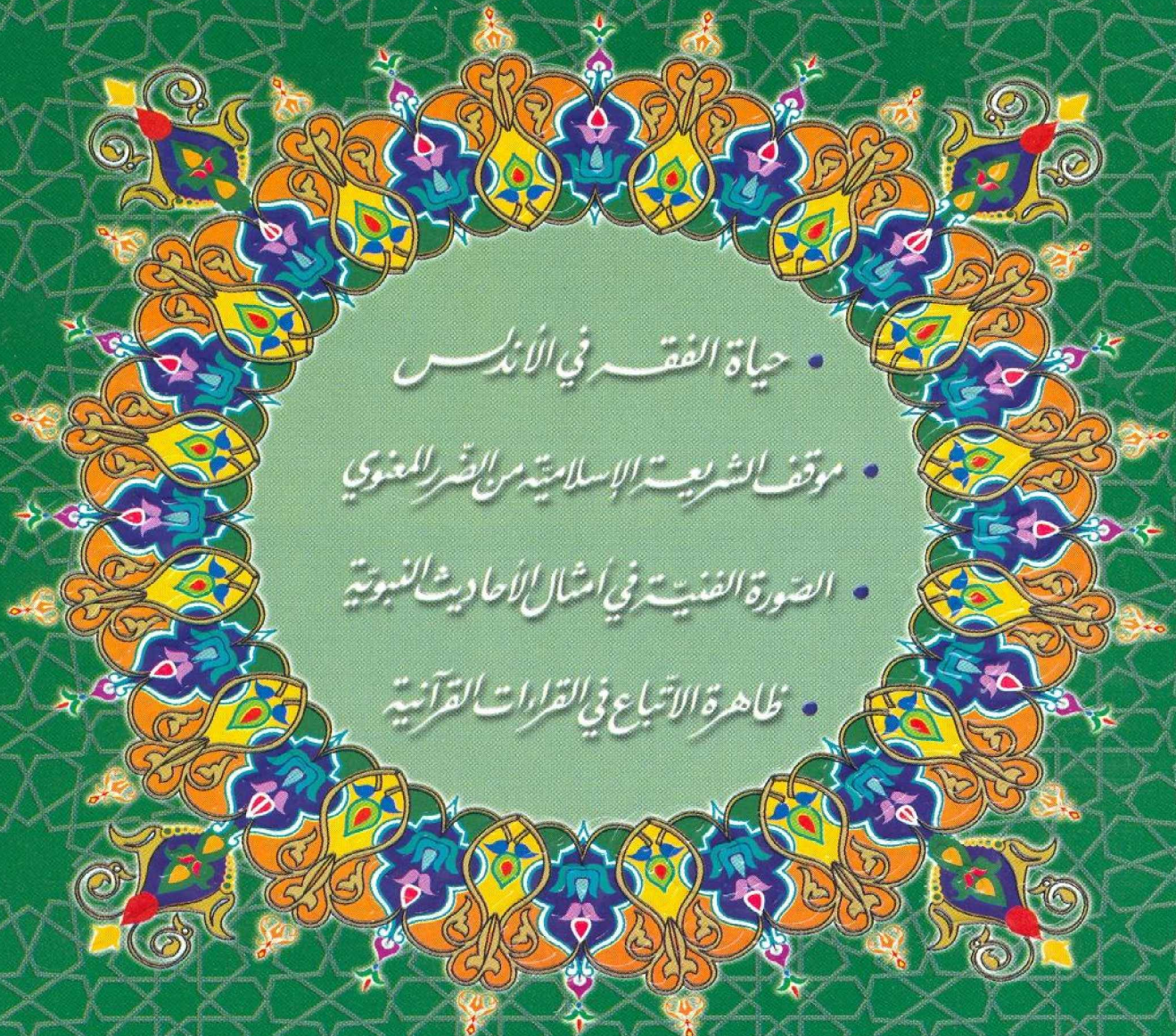

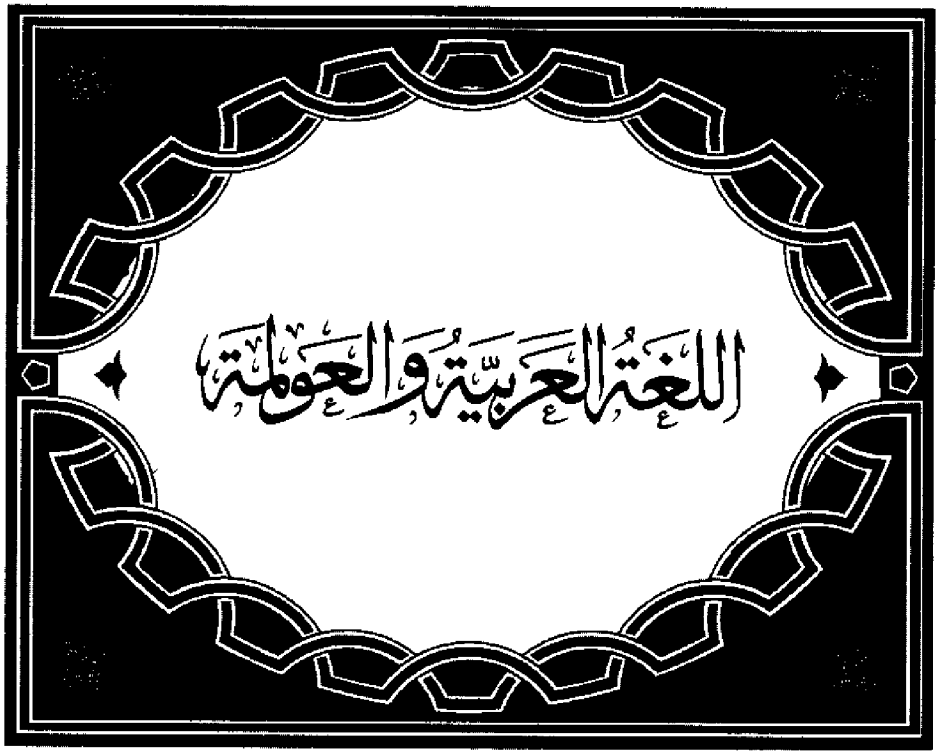

د. علي أبو القاسم عون

تقديم:

اللغة: هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[1]، فهي وسيلة نقل الفكر والعلم والإحساس من فرد إلى آخر في مختلف العصور، وهي نظام من نظم المجتمع الإنساني وظاهرة من ظواهره، خاضعة لما تخضع له هذه الظواهر من عوامل التطور والجمود والرقي والانحطاط والحياة والموت، وهي ظاهرة غير مادية، شأنها في هذا شأن العرف والعادات[2].

ولكنها أقوى الظواهر الاجتماعية وأصلب الأعراف الإنسانية، تصمد في

(1) الخصائص لابن جني: 1/ 33، لسان العرب: (لغا).

(2) علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، ص 13.

الصراع ولا تفنى إلا بفناء أهلها، واضمحلال مجتمعهم، وذهاب شوكتهم، بعد خضوعهم واستسلامهم للغزو والعوامل القاضية[3].

واللغة الراقية هي التي تفي بمطالب الحياة، وتعبر عنها بكل وضوح بما لها من إمكانات تتناسب مع كل الأوقات.

واللغة العربية قد نالت هذه المرتبة لما لها من خصائص أكسبتها مرونة وجعلتها تتكيف مع كل الحالات، فهي لغة القرآن الكريم، وبها نزل، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[4] فالمقصود باللسان اللغة.

والقرآن لم يعبر بكلمة لغة، وقد جاءت مادتها فيه معبرة عن اللغو فقط، أما اللغة فعبر عنها باللسان كما في الآية السابقة وكما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[5] وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم الذي وعد الله بحفظه، والله لا يخلف الميعاد ولا رادّ لما أراد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[6] فما هذه اللغة المقطوع بحفظها؟.

تعريف اللغة العربية:

عرَّف علماؤنا اللغويون اللغة العربية بقولهم: «هي عبارة عما حفظ من كلام العرب ونقل عنهم من الألفاظ الدالة على المعاني»[7]، فالعربية: هي اللغة السائدة في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام، تَخَاطَبَ بها العرب، وصِيغَ بها شعرُهُم ونثرُهُم، فكانت وعاءً لأدبهم وأداةً لعلومهم، وشاهد تاريخهم، وسجل

(3) أصالة اللغة العربية، د. إبراهيم رفيدة، مجلة الفكر العربي، العدد 26، ت 1985، ص5.

(4) سورة الشعراء، الآيات: 192 ـ 195.

(5) سورة الدخان، الآية: 58.

(6) سورة الحجر، الآية: 9.

(7) أصالة اللغة العربية، مجلة الفكر، ص5.

حضارتهم، وهي الكلام المصطلح عليه بين كل قبيلة عربية[8]، والفصيحة هي لغة قريش وهي التي نزل بها القرآن الكريم.

وتشمل اللغة العربية ما قيس عليها وجرى على موازينها وأساليبها في الخطاب، فما قيس على كلام العرب يأخذ حكمه ويدخل فيه.

والكلام العربي لا يوصف بالصحة والفصاحة إلا إذا كان موافقاً للمسموع المنقول في ألفاظه وأساليبه من حيث المفردات وقوانين النحو والصرف ومعايير الفصاحة، أما المعاني والمضمون، فإن لكل عصر خصائصه الفكرية والثقافية، ولكل أديب قدراته التعبيرية الخاصة[9].

والعربية لغة السليقة؛ تكلم بها العربي في الجاهلية وصدر الإسلام فصيحة من غير تكلف ولا تصنُّع، حيث تلاقاها من صغره ودرج عليها، و«السليقي من الكلام ما لا يتعاهد إعرابه وهو فصيح بليغ»[10] و«ما تكلم به البدوي بطبعه ولغته»[11] وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

ولستُ بنحويٍّ يلوكُ لسانَه ولكنْ سليقيٌّ أقول فأُعْرِبُ[12]

وقد حرص اللغويون العرب على جمع اللغة من العرب المقطوع بعراقتهم في العروبة، وتحرَّوا الثقة فيمن أخذوا عنه والصحة في المنقول والمسموع[13]، وأوجدوا العلوم التي تقنن اللغة وتصونها وتيسّر تَعلُّمها، وهي علوم النحو والصرف والبلاغة والنقد الأدبي والأدب، وغيرها مما يعين على الفهم والتذوق والتعمق.

فَبِهِمَّةِ الأسلاف الصالحين الذين سَخَّرهم الله لخدمة اللغة، وبحرصهم

---

(8) الكليات للكفوي: 4/ 170.

(9) نفسه.

(10) لسان العرب: (سلق).

(11) نفسه.

(12) نفسه.

(13) نشأة النحو، محمد الطنطاوي، ص127.

وعلمهم وغيرتهم على الدين كُتب للعربية البقاء، واستقر لها التربع على عرش اللغات والألسن الحية. فما خصائص هذه اللغة الشامخة؟.

الخصائص الذاتية للغة العربية:

العربية استوعبت القرآن كما أراد الله لها، ولا شيء أعظم من الوحي يمكن أن تعجز لغة عن استيعابه ـ واستوعبت حضارة كان كتابها القرآن ودينها الإسلام، حضارة كانت أساساً لما تلاها من التحضر.

في صدر الإسلام كانت العربية وعاء علوم القرآن، ولغة مصطلحات الدين والدولة؛ حتى إذا أطل العصر العباسي صارت لغة الحضارة والعلوم وانتشرت شرقاً وغرباً، واتسعت لكل جديد من العلم والفلسفة، فارضة نفسها على الشعوب، فإذا هي اللغة التي يتكلمون بها ويتعلمون[14].

وإليك إلماحة موجزة في خصائص هذه اللغة التي تمكنت في عصور الازدهار الحضاري من أن تكون لغة الحياة والعبادة والعلم:

1 ـ إن أول خصيصة لها وأعظم ميزة كونها لغة آخر كتاب منزل من الخالق إلى عباده وهو القرآن الكريم، أنزله على رسوله محمد ﷺ، فالقرآن هو الذي نشرها وأخرجها من القومية إلى العالمية، حيث كانت قبل نزول القرآن الكريم وتحولها إلى لغة رسالة الإسلام الدين العالمي العام الشامل لغةً محلية يتكلم بها العرب في شبه جزيرتهم، ولا يوجد من يتكلم بها خارجها، فلما جاء الإسلام وأصبحت لسانه خرجت معه وانتشرت بانتشاره[15] يقول فيليب دي طرازي:

«أصبح المسلمون بقوة القرآن الكريم أمة متوحدة في لغتها ودينها وشريعتها وسياستها، فقد جمع شتات العرب، ومن المقرر أنه لولا القرآن الكريم لما انتشرت الفصحى في الخافقين، ولولا القرآن الكريم لما أقبل الألوف

---

(14) قطوف لغوية، مازن المبارك، ص30.

(15) اللغة العربية لغة القرآن والعلم والمسلمين، د. إبراهيم رفيدة، من قضايا اللغة العربية المعاصرة، ص92، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

من البشر على قراءة تلك اللغة وعلى كتابتها ودرسها والتعامل بها، ولولا القرآن الكريم لظل أهل كل بلد من البلدان التي انضمت للإسلام ينطقون بلهجة يستعجمها أهل البلد الآخر، وقد حفظ القرآن الكريم التفاهم بين الشعوب الإسلامية وبين العرب»[16].

وهي لغة القرآن الكريم باعتبار ما خصها به من التزكية والتشريف، وما أثبته لها من الأصالة والصلاح، وما شهد لها بتوفر الخصائص الذاتية والقابلية للنمو والاتساع، والقدرة على الاستيعاب والتطور، وما ضمن لها من الثبات والبقاء، فهي محفوظة بحفظه باقية ببقائه. ويقول يوهان فك:

«لم يحدث في تاريخ اللغة العربية أبعد أثراً في تقرير مصيرها من ظهور الإسلام، ففي ذلك العهد... عندما رتَّلَ محمد رسول الله ﷺ القرآن الكريم على بني وطنه بلسان عربي مبين، تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد[17] وكان لتلك الرابطة الفضل في حياة هذه اللغة وديمومتها.

2 ـ خفة مباني الكلم:

ألفاظ العربية وضعت في قوالب خفيفة، قليلة الحروف، حيث تجنب الواضع في الأكثر كل ما يثقل على الناطق تكلفه والتلفظ به كالجمع بين الحروف المتقاربة في المخارج[18] ويمكن تلخيص مظاهر هذه الخصيصة في الآتي[19]:

* قلة عدد الحروف التي تبنى منها الكلمة العربية، وذلك في الجمهور الأعظم من المفردات العربية.
* تخفيف الأبنية الكثيرة الحروف باشتراط حروف الذلاقة في أصولها.

---

(16) الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، ص32.

(17) العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب، ص13، مكتبة الخانجي بمصر، 1980م.

(18) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص51، دار الكتب العلمية، بيروت.

(19) خصائص اللغة العربية، د. محمد حسن حسن حبل، ص54.

* لزوم الاتساق في مكونات الكلمة العربية.
* إجراء عمليات الإبدال والحذف في مكونات الألفاظ.
* حسن تأليف الحركات.

3 ـ سعة التصرف

العربية غنية بالمفردات والتراكيب والمفاهيم، وذلك لسعة التصرف في المفردات وفي الأساليب، وقد تحقق لها التصرف بأمور ظاهرة، منها الاشتقاق، والنحت، والقياس، والمجاز، والتعريب، والحذف، والتقديم والتأخير.

أ ـ **الاشتقاق**: وهو أخذ كلمة من أخرى لمناسبة بين الكلمتين في المعنى مع تغيير في صيغة اللفظ[20]، ولا يهمنا هنا الاختلاف في أصل المشتقات، ولا شروط الاشتقاق وضوابطه بقدر ما يهمنا التنبيه على فائدته في تنمية اللغة وإثرائها بتكوين مجوعات من المفردات كل منها يرجع إلى أصل واحد، وتشترك في جزء من مادته لتتسع لكل ما يمكن اشتقاقه من غيره كأسماء الآلات وما يتصل بها من مصطلحات.

ب ـ **النحت**: وهو نوع من الاشتقاق، ويكون في ثلاثة أقسام[21]:

الأول: يكون بنحت كلمة واحدة من كلمتين كل واحدة منهما ذات معنى تستعمل فيه وحدها، والغرض بذلك أن تدل الكلمة المنحوتة على معنى جامع لمعنى الكلمتين نحو «صلدم» من «صلد» و«صدم» حيث جمع بالنحث بين الصلابة والدفع.

الثاني: يكون بالنحت من المركب الإضافي، فيأخذون من المضاف حرفين ومن المضاف إليه حرفين نحو «تيمل» من تيم الله و«عبدر» من عبد الدار.

الثالث: يكون بنحت كلمة واحدة من مركب تام مفيد، من ذلك «حيهل»

---

(20) دروس في التصريف، محمد محيي الدين عبد الحميد، ص10، المكتبة العصرية، بيروت.
(21) نفسه، ص24.

من حي على الصلاة، و«بسمل» من بسم الله الرحمن الرحيم، وهذا النوع من البناء النحتي مفيد كذلك في تنمية اللغة وتوسيعها لتشمل الجديد المفيد.

ج ـ **القياس**: وهو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه[22] والقياس بمنزلة المكيال أو الميزان الذي يبين الصحيح من الزائف وما يقبل وما يرفض[23]، وتتجلى أهمية القياس في التوسع اللغوي؛ لأنه أصل من أصول النحو العربي، ولذا عيب من أنكر القياس، قال ابن الأنباري: «اعلم أن إنكار القياس في النحو لا يتحقق لأن النحو كله قياس[24]، والقياس يشمل جانب الكلمة المفردة متصلاً بمجال التصريف، وجانب التركيب متصلاً بالقواعد النحوية التي تقاس بها صحة التراكيب[25]، ولا أريد التوسع في هذه الفضيلة التي هي من أسس بناء صرح العربية، وهي عامل من عوامل تجددها، ولكن أدعو إلى امتثال قول ابن جنّي «إن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب»[26]، لأنه شعار أصحاب الفضل في حياة اللغة مسايرة للحضارة مستوعبة ألفاظها[27]، مرحبة بما يستجد فيها بطريق الترويض القياسي.

د ـ **المجاز**: وهو يعني خروج اللفظ عن المعنى الذي وضع له في الأصل، على أن يكون هناك علاقة بين المعنيين، قال ابن جِنّي: «اعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة»[28] ومن ذلك العين، فهي الباصرة والجاسوس، حيث خرجت من المعنى الأصلي إلى المعنى المجازي، والغرض من المجاز الاتساع في التعبير، وهو إذا أخذناه بمعنى النقل

---

(22) الاقتراح للسيوطي ص59.

(23) من أسرار العربية، د. إبراهيم أنيس، ص8.

(24) الاقتراح ص59.

(25) دراسات لغوية، د. عبد الصبور شاهين، ص8.

(26) الخصائص 1/ 357.

(27) دراسة في النحو الكوفي، المختار أحمد ديرة، ص138.

(28) الخصائص 2/ 447.

يمكن أن يفيد في زيادة بعض المفردات التي يستدعيها التطور، ويغني العربية بما يتيحه لها من ثروة لغوية.

هـ - التعريب: وهو التلفظ بالكلمة الأعجمية على صيغة من صيغ العربية وأسلوبها، فتعريب الاسم الأعجمي: أن تتفوه به العرب على منهاجها[29] وقد مر بنا أنّ العربية انتقلت من قوميتها إلى العالمية، وانتشرت انتشار الإسلام في البلدان، وهذا استدعى الأخذ والاستعارة، ولا بد لها أن تجعل المستعار يتفق وصيغها وأساليبها بالتحوير والترويض، وهذا التحوير أطلق عليه مصطلح التعريب، وقد استفادت اللغة من هذا في إغنائها واتساعها، والعربية لم تقترض إلا ما تحتاجه من الأمور المادية، ولم تحتج إلى اقتراض ما يدل على الأمور المعنوية والقيم الأخلاقية والمثل العليا والمعاني النفسية والروحية لغناها بها[30]، وللتعريب قواعده التي تتصل بحروف الكلمة ووزنها وهيكلها، فهو قياسي وليس سماعياً، قياسي على منهاج العرب وأصول التعريب عندهم.

وقد أصبح التعريب ضرورة من ضرورات العلم والحضارة وهو لا يشين لغة القرآن الكريم، بل يفيدها إذا كان على منهج القرآن الكريم الذي جاءت فيه كلمات أصلها غير عربي فبناها بناءً عربياً خالصاً في بنية حروفها ونطقها وأصواتها[31] وقد اتسع هذا المصطلح ليشمل ترجمة العلوم ونقلها إلى العربية، وتوسعت عملية الترجمة لتستغرق جميع العلوم في العصر العباسي، ثم انكمشت لتمتد من جديد في أوائل العصر الحديث، وتنهض على استحياء في هذا الزمن إذا ما قيس ما يترجم إلى العربية بما يترجم إلى اللغات الأخرى.

فعلينا أن نستفيد من هذه الخاصية في تطوير جميع مجالات الحياة في العلم والفن والتعليم والإعلام والإدارة.

---

(29) الصحاح: (عرب).

(30) اللغة العربية لغة القرآن والعلم والمسلمين، من قضايا اللغة العربية ص111.

(31) نفسه ص112.

ذلك ما له صلة بالتوسع في المفردات في عمومه، أما التوسع في الأساليب فقد تحقق من خلال عدة تقنيات أسلوبية كالحذف، والتقديم والتأخير.

أ ـ **الحذف**: يقول فيه عبد القاهر الجوجاني: «هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر»[32] فهو طريق الاختصار والإيجاز، ولأجل الاختصار يمكن حذف الجملة أو المفرد أو الحرف أو الحركة، ولا حذف إلا عن دليل عليه[33]، وهذه التقنية الأسلوبية تفيد عند الترجمة وعند البرمجة الحاسوبية.

ب ـ **التقديم والتأخير**: يقول فيه عبد القاهر كذلك: «هو باب كثير الفوائد جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية»[34] فهو يفيد في التوليد وفي التنويع وفي إظهار الاهتمام والتركيز على المهم.

ولا خلاف في أنهما أسلوبان عدوليان، ولكن لا شك في وجودهما في القرآن الكريم وفي الأساليب الفصيحة، فهما من براهين شجاعة العربية[35] فامتلاك العربية لخاصية الإعراب جعل الجملة العربية تظفر بحرية كبيرة إلى حد ما في ترتيب أجزائها.

والاكتفاء به في كثير من الأحيان للدلالة على وظيفة الكلمة في الجملة[36]. فما تتمتع به العربية من حرية في تصريف صياغة الجملة لا يوجد في غيرها من اللغات التي تفتقد الإعراب، فليس في اللغات الأوروبية على سبيل المثال هذه الحرية، لأن الجملة فيها اسمية يتقدم فيها الفاعل، ولا يتقدم الفعل إلا شذوذاً في حالات قليلة، والاكتفاء في كلام الأوروبيين بالجملة

---

(32) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ص146.

(33) الخصائص 2/ 360.

(34) دلائل الإعجاز ص106.

(35) الخصائص 2/ 360.

(36) التطور اللغوي، دكتور رمضان عبد التواب، ص207، مكتبة الخانجي، القاهرة.

الاسمية نقص وليس بمزية[37] ولا أريد الحديث في خاصية الإعراب التي فقدت في جميع اللغات ما عدا العربية والبابلية القديمة[38] وإنما أردت التنبيه على إحدى أبرز ظواهر العربية وأهم تقنياتها التوليدية التي أكسبتها مرونة في التعبير وتفوقاً في التصريف[39].

4 ـ الارتجـــال:

لم يعرف مصطلح الارتجال في النحو العربي إلا في باب العلم، حيث قسم العلم إلى منقول ومرتجل، ففي الكافية الشافية يقول ابن مالك[40]:

فإن خلا من سابق استعمال كـ(مذحج) فانسبه لارتجال
وما سوىٰ المرتجل المنقول نحو (ثقيف) هكذا سلول

فالمرتجل ما لم يعرف له استعمال في غير العَلَمِيَّة، والمنقول ما استعمل قبل العَلَمِيّة ثم تجدد جعله عَلَماً[41]، ويشير الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن في كتب القدماء من اللغويين إشارات إلى أن طرق الوضع اللغوي هي الارتجال والقياس والاشتقاق، ولكن إذا بحثنا عن معنى ما يسمونه بالارتجال وجدناهم يضطربون في شرحه، وكذلك الشأن عند علماء العربية في العصر الحديث يسلكون في فهم هذا الارتجال نفس المسلك الذي جرى عليه القدماء دون تحديد أو تدقيق[42].

وإذا كان الارتجال سبيلاً لوضع أسماء الأعلام في عصر الوضع أفلا يجوز في هذا العصر أن نرتجل أسماء المستحدثات مما نخترعه نحن وليس لما ينقل إلينا؟.

---

(37) بحوث لغوية، د. أحمد مطلوب، ص39 ـ 40، دار الفكر، عمان.

(38) العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ص15.

(39) ينظر في أطروحة بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، مبحث في المقارنة بين التقديم والتأخير في العربية والتقديم والتأخير في الإنجليزية والفرنسية، علي أبو القاسم عون.

(40) شرح الكافية الشافية لابن مالك، 1/ 247.

(41) نفسه.

(42) من أسرار العربية ص95.

وإذا كان الارتجال حقيقة واقعة في اللغة لا يتطرق إليها الشك[43] وهو محدود، فلماذا نمنعه بسبب ما فرضه القدماء من القيود التي أرادوا بها سلامة العربية؟ ولماذا لا يقتصر المنع على اللغة الأدبية، ويباح الارتجال في مصطلحات العلوم والتقنية؟

الخصائص المعلوماتية للغة العربية:

في الفصل التاسع من كتاب العرب وعصر المعلومات، وهو بعنوان «اللغة العربية وتكنولوجيا المعلومات» عرض الدكتور نبيل علي الخصائص الذاتية للغة العربية من الرؤية الفنية الحاسوبية، وقد جاء هذا المبحث الذي جعل لخصائص العربية بعنوان «خصائص منظومة اللغة العربية من منظور معلوماتي»[44].

ويمكننا تلخيص ذلك في النقاط الآتية:

1 ـ التوسط اللغوي:

من خلال نماذج للمقارنة مع بعض اللغات الأخرى بين الباحث شيئاً من ملامح الوسطية في أبجدية الكتابة العربية والوسطية في الإعراب، والوسطية في الجمع بين الجملتين الاسمية والفعلية وأمثلة لوسطيات أخر، ونبه إلى ضرورة الاهتمام بالدراسات اللغوية المقارنة والتقابلية؛ حتى يستفاد من نظم معالجة اللغات الطبيعية فيما يهم شؤون اللغة الوسطى.

2 ـ حدة الخاصية الصرفية:

بين أن العربية لا تباريها أي لغة أخرى في دقة خاصيتها الاشتقاقية، فهي تتميز بالاطراد الصرفي شبه المنتظم، وهذا يزيد من قابلية المعالجة الآلية الشاملة وميكنة المعجم العربي، وتطوير آلية الإعراب والتشكيل التلقائي.

---

(43) نفسه ص107.

(44) العرب وعصر المعلومات، د. نبيل عبيد ص351.

3 ـ المرونة النحوية:

أشرت في الخصائص الذاتية إلى أن تقنية التقديم والتأخير، أعطت اللغة العربية مرونة في التصرف واتساعاً في التحويل، ويرى الباحث هنا أن تلك المرونة سببت مشكلة في المعالجة النحوية الآلية، فالبرامج صممت لتلبية مطالب اللغة الإنجليزية التي تتسم بالصرامة في النحو، وهذا يستوجب زيادة البحث لمعالجة النحو العربي آلياً، حيث تجب مراعاة عمليات الحذف والتقديم والإبدال والإضمار وغير ذلك مما ليس في النحو الإنجليزي.

4 ـ الانتظام الصوتي:

تتميز القواعد الصوتية للعربية بالاطراد والبساطة مما سهل عملية المعالجة الصوتية آلياً.

5 ـ الحساسية السياقية:

يقصد بها تأثر العنصر الكلامي سواء أكان حرفاً أم كلمة بما يكتنفه في كثير من المواضع، ويظهر ذلك في كتابة الحرف وفي التطابق النحوي، وهذا يحتاج إلى معالجة آلية خاصة تختلف عن المعالجة في اللغة الإنجليزية.

6 ـ تعدد طرق الكتابة وغياب عناصر التشكيل:

التشكيل في بعض التراكيب يكون مطلوباً، وإسقاطه يؤدي إلى اللبس، والتزامه التزاماً تاماً يحتاج إلى جهد كبير في برمجته.

7 ـ ثراء المعجم واعتماده على الجذر:

اعتماد المعجم العربي على الجذور، واتساع المفردات بالاشتقاق وتميز العربية بالثراء في المفردات، كل ذلك يستوجب البحث في بنية المعجم وإعادة تنظيمه بما يلبي مطالب النظم الآلية.

8 ـ شدة التماسك بين عناصر منظومة العربية:

هناك تداخل بين الصرف والمعجم، وتداخل بين الصرف والصوتيات،

وتداخل بين مباني الصيغ ومعانيها، وفي كل ذلك ما يسبب عسراً في النظم الآلية لصعوبة فصل المعالجات الآلية، وما يسبب سهولة للفهم الأتوماتي لاعتماده على القوانين في غياب التشكيل.

وقد أشار الدكتور «نبيل علي» إلى أنه قد تم معالجة كثير من هذه الأمور، وأنه قد أسهم في وضع برامج آلية لبعضها، جزاه الله عن العربية خير الجزاء، وكَثَّر من أمثاله.

سلامة العربية وعوامل تطوُّرِها:

إن اللغة التي تقف عاجزة عن مسايرة ركب الحضارة في مجالاتها الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ليست جديرة بالحياة؛ لأنها بعجزها تَحْمِلُ أسباب الفناء.

والعربية لغة حية متطورة لم تعجز عن استيعاب عصور من الحياة وأجيال من المجتمعات إنما ظلت لغة الخطاب والأدب والعلوم[45]، تستقبل كل عصر جديد بما تملك من مرونة في أنظمتها وقدرة في وسائلها الذاتية على الاتساع والاستيعاب.

لقد تعرضت العربية عبر عصورها التاريخية لظروف مختلفة من الشدائد والصعاب، وموجات متنوعة من الطعن والغزو، واستطاعت اجتياز كل ذلك وتوقيه بفضل أصالتها وحيوتها وتفتحها، والعجيب أنه في أبرز مراحل كفاحها، وهي المرحلة التي غدت فيها لغة الفكر والحضارة، أي في العصر العباسي، ترسخت لها عوامل السلامة اللغوية بفضل ما تفرع لها من علوم العربية التي دعت إليها متطلبات الحضارة، واكتملت مباني العلوم وقوانينها، فالعربية في مرحلة الصراع والتحدي وُضِعَتْ لها أسبابُ السلامة وَقُنِّنَت لها مسالكُ التطور.

وهل العربية التي استوعبت الحضارة الإسلامية منذ عصر البعثة عاجزة عن استيعاب حضارة هذا العصر؟.

---

(45) العربية والأمن اللغوي، د. زهير غازي زاهد، ص28.

وهل هذا العصر يستلزم من المفردات والمصطلحات والتقنيات اللغوية أكثر من طاقة العربية على التطور والتجديد؟.

إننا إذا راجعنا خصائص العربية وجدناها أسباب سلامة وعوامل تطور، ففي كونها لغة القرآن دليل على أنها لغة الحق ولسانه، وأداة العلم وآلته، والقرآن الكريم يقدر العلماء ويحث على العلم، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[46] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ . . .﴾[47].

وفي يسر تأليف المباني الذي تَجَلَّى في قلة عدد حروف المبنى واتساقها وخفتها، وما يمكن أن يجري فيها من إبدال وحذف وزيادة، وما يجري على التركيب من تقديم وتأخير، سهولة في التوليد ويسر في التجديد.

وكل ما عرفناه في الخصائص الذاتية المحققة لخصيصة سعة التصرف من اشتقاق ونحت ومجاز وتعريب وقياس وارتجال، كل ذلك مسالك تطور ومعابر توسع ومنافذ توليد.

وما وقفنا عليه من مشاهد معلوماتية لخصائص العربية من التوسط اللغوي والاطراد الصرفي، والمرونة التركيبية، والانتظام الصوتي، كل ذلك يعد من العوامل المحققة للتطور والاتساع، والقابلية للمعالجات الحاسوبية، وكل ذلك ضامن للأمن والسلامة اللغوية.

حماية اللغة وآليات تطويرها:

إن الواجب الديني والقومي يدعونا إلى حماية العربية مما يراد لها في هذا العصر من الفناء والاندثار، فبالقضاء على لغة القرآن يتم استيلاب ثقافة الإسلام، لأن العربية هي لسان العرب وهويتهم، والقرآن هو روحهم وشريعتهم، فلا هوية بدون لسان أصيل، ولا شريعة حقة بدون كتاب حق مقدس، وفي القضاء على

(46) سورة المجادلة، الآية: 11.

(47) سورة فاطر، الآية: 28.

هذه المعالم قضاء على ثقافة الأمة لأن تلك المعالم هي عناصر تكوينها ومكونات وجودها.

وإن حضارة هذا العصر الذي يعرف بعصر العولمة تستهدف كل الأنساق الثقافية والخصوصيات الحضارية، واللغة أول مستهدف من الخصوصيات الثقافية والحضارية باعتبارها ممثلاً لهوية الأمة بماضيها وحاضرها، والعربية من اللغات المستهدفة، لوقوفها في وجه الهيمنة شاهداً حضارياً أصيلاً عاشت الإنسانية قروناً على ما أنتجته من علوم وفلسفة وفكر[48]. فهي من اللغات القليلة التي ستقف في جبهة مقاومة رياح العولمة العاتية وأذرعتها القاضية.

وإذا أردنا حماية عربيتنا مما يراد لها، علينا أن ننظر في آليات تطويرها ونعيد صياغتها بما يكفل الإتقان والسرعة ويحقق الاستمرار والتجديد، ويؤمن الحماية والتقدم، وكي يتحقق ذلك لا بد من إقرار الآتي وتوكيده وتفعيله:

1 ـ استمرار النقل الذي تقوم به المجامع اللغوية العربية وهو نقل يراعي الأصول اللغوية المقررة في معاملة الألفاظ الأعجمية[49]، فالعربية تحتاج إلى مضاعفة الجهد في ثلاثة مجالات مهمة لتكون قادرة على استيعاب حاجات العصر، ويستغني الناطقون بها عن الارتباط بلغة أحنبية هي[50]: الترجمة من اللغات الأخرى، وإيجاد المصطلح المناسب في مجال العلوم، وتأليف المعجمات المختلفة المناسبة للمراحل الدراسية، والتخصصات العلمية.

2 ـ نشر ما يتم نقله بإشراف المجامع وتيسير وصوله إلى كل المؤسسات الثقافية والتعليمية، حتى يقع في أيدي جميع المهتمين والمتخصصين والمتعلّمين.

3 ـ تشجيع المسار الإعلامي وتوجيهه التوجيه السليم في انتهاج سبيل لغة

---

(48) العربية والأمن اللغوي ص111.

(49) عوامل التطور اللغوي، د. أحمد عبد الرحمن حمّاد، ص8.

(50) العربية والأمن اللغوي ص56.

عربية ميسرة، سواء أكان ذلك في الإعلام المكتوب أم المسموع أم المرئي، وهذا الأخير أكثر انتشاراً، فهو يصل كل بيت عربي عن طريق الفضائيات، فوجب الاستفادة من هذه الوسيلة في نشر العربية الميسرة السليمة، وجعلها تَحلّ محل اللهجات الدارجة لأنها اللغة الأقوى على تحقيق التواصل والأقدر على حماية الثقافة العربية الإسلامية ونشرها. فالإعلام بجميع مؤسساته هو قوام ثقافة المجتمع والعربية هي قلم الإعلام ولسانه، فاستوجب الحال العناية بالقلم واللسان والاهتمام بهما لأن في سلامتهما حماية للثقافة وأمناً للغة.

4 ـ تنفيذ سياسة لغوية عربية موحدة تهدف إلى تيسير الفصحى وحمايتها، وفرض التعامل بها في جميع الميادين، وتكون هذه السياسة من مهام المؤسسات العربية اللغوية والجامعات العربية واتحادات الأدباء واتحادات المعلمين، وتحت رعاية الجامعة العربية ومنظماتها المختصة، وبإشراف علماء قادرين على حماية العربية وتطويرها، وحريصين على بقائها ونمائها، علماء يملكون المهارة اللغوية التي تمكنهم من الإصلاح والتطوير، وعندهم الحس اللغوي الذي يقدرهم على المراقبة والانتباه لما قد يصيب العربية من الخلل، يقومون بحبهم وحرصهم وعلمهم على تنفيذ تلك السياسة القومية، وتقويم وسائل التنفيذ وتوجيهها توجيهاً يكفل أداء واجبها الوطني تجاه لغة الأمة ولسان دينها الحنيف.

5 ـ قيام المؤسسات بتعريب التعليم وترجمة العلوم المختلفة حتى يتيسر فهم تلك العلوم واستيعابها وجعلها في متناول الطلاب في جميع مراحل التعليم، ففي تعريب العلوم حث للطلاب على تعلم العربية وإتقانها لحاجتهم لفهم تلك العلوم الحديثة المعربة، فإذا لم تتوفر المؤلفات العلمية المعربة يضطر الباحثون إلى تعلم اللغات الأخرى كالإنجليزية، متذرعين بدوافع استيعاب العلم الحديث، وتعلم تلك اللغات يكون على حساب إتقان العربية.

6 ـ جعل العربية لغة الدراسة في جميع المراحل، وهذا لا يمكن تحقيقه إلا بعد تحقيق الأمر السابق وهو تعريب العلوم.

إن في تلقي الطالب المعارف بلغته فائدتين، أولاهما إتقان لغته والحفاظ عليها وتقويتها على غيرها من اللغات واللهجات.

والأخرى يسر الفهم وسرعة الاستيعاب، لأنه يقرأ ويفهم ويفكر بلغة واحدة هي لغته لغة الحياة والتواصل.

7 ـ توحيد المصطلح وضعاً وتعريباً والإسراع في نشره وتداوله حتى لا يصبح أمر قبوله متعسراً أو ممتنعاً، أو يحدث إصداره بلبلة بين المتلقين، وذلك بما ألفته اللهجات الدارجة من مصطلحات، والأمثلة على ذلك كثيرة منها: الميكروفون وناقل الصوت ومكبر الصوت، والمصداح، ومنها: الإيدز، والسِّيدا، وفقدان المناعة، والمناعة، ومنها التلفون والهاتف والمسرة، ومنها: الهاتف الجوال، والخلوي، والمنقول، والمبايل، فكل مسمى من كل مجموعة شاع في قطر عربي، ولم يتوحد الاصطلاح بسبب التأخر في الإصدار من المؤسسات المختصة كمكتب تنسيق التعريب، ومسألة توحيد المصطلح مهمة مشتركة بين جميع المؤسسات التعليمية والجامعات والمجامع وما إليها.

8 ـ الاهتمام بتدريس اللغة العربية وجعلها اللغة الوحيدة في سنوات التعليم، الأساسي، وتحديث مناهج تدريسها في باقي مراحل التعليم وتغليب الممارسة اللغوية والتطبيق على التلقي والحفظ، وفرض دراسة العربية في كل سنة من سنوات التعليم في كل مرحلة من مراحله بقدر زمني متوسط لا يؤدي إلى الملل، وقدر معرفي متصاعد يحقق ترسيخ الفهم وتقويم اللسان.

9 ـ جعل الفصحى لغة التواصل بين المجتمعات العربية في جميع أقطارها، وذلك باتِّباع لغةٍ سهلة ومُيَسَّرة في الخطاب السياسي والاجتماعي والديني، وطرد اللهجة من الأوساط الاجتماعية وعلى مراحل حتى تحل الفصحى محلها، وأهم وسيلتين في ذلك هما:

- التعامل مع الناشئة في رياض الأطفال وفي المرحلة الأساسية من التعليم باللغة العربية الفصحى المُيَسَّرة، ومنع التحدث في هذه المقامات باللهجة الدارجة.
- إلزام المحطات الفضائية العربية باستعمال اللغة الفصحى في لقاءاتها وندواتها وبرامجها، وعدم السماح لها بعرض أفلام الكرتون المترجمة إلى اللهجات الدارجة، ولا الأفلام السينمائية المدبلجة باللهجات الدارجة كذلك، فالفضائيات يجب أن تكون وسيلة حماية للغة والثقافة لا أن تكون أداةَ مَسْخٍ ومِعْولَ هَدْمٍ.

ويجب أن تكون مجالاً رحباً للتواصل الثقافي الذي ينشر اللغة الفصحى؛ لأنها أداة الثقافة وعنوان الهوية، لا أن تكون ميداناً للصراع اللهجي الذي يستهدف في حقيقته القضاء على اللغة الجامعة.

10 ـ إلزام الشركات الصناعية، وشركات الأدوية خصوصاً، بتعريب نشراتها، وإمدادها بما تحتاج إليه من مفردات ومصطلحات، وإشعارها أن في ذلك صلاح العربية وحمايتها ونشرها، وصلاح الشركات بالإقبال على منتوجاتها وتوسيع انتشارها وتداولها.

11 ـ وضع معجمات لغوية عربية موجزة وميسرة، تكون مراجع دلالية لمعاني المفردات التي يكثر استعمالها، والمصطلحات التي يتم تعريبها أو ارتجالها، على أن يكون وضعها بالاشتراك بين المجامع اللغوية العربية حتى تكون موحدة، وتتحقق لها الصحة والسلامة، ويكتب لها التداول والانتشار.

12 ـ الإشراف على وضع منظومات الحاسوب والمعلومات، وتزويد المختصين بهندسة الاتصالات، والقائمين بشؤون البرمجات الآلية بما يحتاجون إليه من مشورة لغوية في جميع فروع العربية، تسهيلاً لعملهم وإسناداً لهم في مجال التجديد والتطوير، وهذا الأمر يكون منوطاً بالمؤسسات التعليمية والجامعات العربية والمجامع اللغوية، وحبذا إنشاء جمعيات لغوية تقوم بتلبية حاجة شبكة المعلومات بما يستجد في التعريب والاصطلاح.

العربية لغة العلم:

لا شك أن اللغة العربية في المستوى الأدبي أسبق وأوسع من اللغة العربية في المستوى العلمي، فقد قُعِّدَتْ قواعد النحو العربي على أساس اللغة الأدبية، لأن المرحلة الزمنية للتقعيد انتهت بانتهاء القرن الثاني، وهذه المرحلة هي مرحلة أدبية بما فيها من حركة الأدب والنقد والصراع السياسي والعسكري والفكري، وحين دخلت العربية مجال العلوم كان النحو العربي قد بلغ مرتبة النضج والكمال، وهذا هو الذي يفسر الإحساس بغرابة اللغة العلمية في مؤلفات العلوم، لأن الأذواق اللغوية تكونت تكوناً أدبياً، والعادات التعبيرية استقرت على أساس المقاييس الأدبية[51]، والذي يهمنا هنا أن العربية أوجدت لنفسها طريقاً في مجال العلم والمعرفة، ولم تقف عاجزة منذ بدايات تقعيدها عن الولوج إلى عالم الاختراع العلمي والتعريب المعرفي في عصر الازدهار الحضاري، وأن بعض المختصين اللغويين اهتموا بالبحث في خصائص اللغة العلمية من حيث المفردات والتركيب، وصولاً إلى إيجاد طريق سهلة لتعليم المشتغلين بالعلوم اللغة العربية، واستعمال الأسلوب العلمي في الكتابة وتوحيد المصطلحات العلمية[52].

وقد استخدم عصرنا اللغة العلمية في مجالين أحدهما الكتابة العلمية والثاني تخزين المعلومات في الحواسيب الإلكترونية، وبذلك استجابت العربية لضاغطين حضاريين هما طبيعة العلم ومستحدثاته، والآلة الإلكترونية وتطوراتها[53].

ومع أنها استجابت لمتطلبات العلم في كل عصر وحققت لمفرداته الوضوح ولمصطلحاته النقل والترويض، وللكتابة العلمية بساطة الأسلوب ويسر التداول، مع كل ذلك اتهمت من قبل الخصوم الحاقدين أعداء اللغة والدين وهم

---

(51) العربية لغة العلوم والتقنية، د. عبد الصبور شاهين، ص77.

(52) نفسه ص84.

(53) نفسه 94.

جماعة من المستشرقين وأعوانهم المنافقين وأتباعهم الساذجين، اتهمت بأنها لغة معقدة القواعد، صعبة التعلم، كثيرة الشذوذ في مسائلها وقضاياها، وبأنها عاجزة على استيعاب علوم العصر، وبأنها جامدة غير صالحة للحياة لصعوبة الكتابة بها، فالعامية أيسر منها وأقدر على التواصل[54] وقد برز الغيورون للدفاع عن لغة القرآن ولكشف زيف الاتهامات وبطلان الادعاءات، وبيان أن المستهدف في هذا الهجوم هو الدين الإسلامي بالقضاء على الفصحى، وإحلال الأجنبية لغة للعلم والحضارة، والعامية لغة للأدب والثقافة؛ ليتم الإجهاز على آخر حصن من حصون الدين الإسلامي وهو اللغة العربية.

فلا تستوقفنا تلك الاتهامات لأنها صادرة عن بعض من المستشرقين الحاقدين والأتباع العاجزين «فلا تنصت إذن إلى أولئك المؤلفين العاجزين الذين يُحَمِّلون لغاتهم مسؤولية النقص الذي في مؤلفاتهم لأنهم هم المسؤولون على وجه العموم عن هذا النقص»[55]. فماذا يقول أولئك المدَّعون في لغات أقل انتشاراً تدرس بها العلوم العصرية كالرومانية والفلندية والبلغارية والبولندية؟ وماذا يقولون في تدريس الطب والعلوم باللغة العربية في الجامعات السورية؟

وماذا يقولون في الروسية والألمانية اللتين تُدَرَّس بهما العلوم في الجامعات، وقد أرسلت بعض الدول العربية طلاباً للدراسة في الاتحاد السوفياتي، وفي ألمانيا الشرقية، وأظهروا تفوّقهم في دراسة العلوم بتلك اللغات وهي أصعب من العربية[56]، فالألمانية هي لغة جميع مراحل التعليم في ألمانيا والنمسا، وقد أجمع الباحثون على أنها أصعب من العربية، وإعرابها أشد من إعراب العربية مع ذلك لم يفكر أحد من الناطقين بها في تسهيلها بترك الإعراب، فأهلها يفخرون بها، وقد حَرَّموا دخول العاميات المدرسة والجامعة ومنعوا استعمالها في المحكمة والبريد والصحافة والإذاعة[57].

---

(54) بحوث ومقالات في اللغة، د. رمضان عبد التواب، ص166.

(55) اللغة، فندريس، نقلاً عن العربية والأمن اللغوي ص41.

(56) دراسات لغوية، د. حسين نصار، ص9.

(57) الفصحى لغة القرآن، ص174.

إن دعوة صعوبة العربية دعوة باطلة قصد بها التشكيك في قدرتها على الأداء والاستيعاب، حتى يتركها أهلها وينصرفوا إلى تعلُّم غيرها من اللغات فيبتعدوا عن لغتهم وينسلخوا عن ثقافتهم وهذا ما يريده أعداء اللغة والدين.

فعلينا أن نتمسك بلغتنا، فهي لغة العلم والحياة، وتلقي العلم بها فيه اختصارٌ للوقت والجهد، وفيه مجال للإبداع والابتكار.

العولمـة:

العولمة مصطلح عربي وضع مرادفاً لما وجد في الإنجليزية GLOBALISATION، وفي الفرنسية MONDALISATION.

وقد وضع اللفظ العربي في هذه الصيغة التي فيها زيادة الإلحاق حتى يسهل تصريفها تصريف الدحرجة، وقد أوجد العرب الأوائل الإلحاق في البناء للاتساع في محاوراتهم وطرق كلامهم، وهذا دليل على اهتمامهم بالمعاني وتقدُّمها في أنفسهم على الألفاظ[58].

واستفاد المُحْدَثون من هذه التقنية اللغوية، فحين حلَّ عليهم المولود الثقافي الجديد في لفظيه الأجنبيين السابقين وبمفهومه المشبوه منحوه دون تمحيص، اسماً ناعماً يتناغم مع ما تبادر إليهم من المفهوم، يقول الدكتور/ عبد السلام المسدي «مفهوم العولمة نابع من تصاقب مفاهيم ثلاثة، مفهوم العالم، ثم مفهوم الفعلية التي هي استنباط دلالة الفعل والحدث من الاسم، ثم مفهوم الاسمية وهو اشتقاق المصدر من الفعل الجديد»[59].

وإذا كان لفظ العولمة وضع مصطلحاً لحضارة هذا العصر وعَلَماً عليها فهو يحمل معنى المصدر، وهو الحدث، ولا يمكن تجريده من هذا المعنى، ومشتقات هذا المصدر وهي عَوْلَم ويعولِم ومُعَوْلِم ومُعَوْلَم تحمل معاني المصدر وزيادة، وقد اختلف في تلك المعاني، لأن المصطلح يخترق المفهوم الذي

---

(58) الخصائص 1/ 221.

(59) اتقوا التاريخ أيها العرب ص144.

وضع من أجله اختراقاً، حيث لم يتضح المفهوم اتضاحاً كاملاً ومتفقاً عليه فهو قابل للاختلاف عليه، والتوسع فيه بما يحدث من تجاذب دلالي بين المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية، وبما يخفي وراءه من نوايا غير إنسانية، فإذا كانت العالمية مصطلحاً لدلالات سابقة فيما يخص انبثاق الظاهرة من حدودها القومية إلى الحدود الإنسانية الشاملة، فإن العولمة في صميم فلسفتها تقوم على اقتحام الإرادة الدولية لحدود الأقطار والقوميات، لا على انبثاق الأمر من الداخل صوب الخارج[60].

وهذا يعني أن ما في العالم يسعى إليك ويهجم عليك ويحطم حدودك ويقتحم خصوصيتك.

وقد حذر الدكتور/ عبد السلام المسدي ـ من أن ينقلب ترحيب العربية بهذا المصطلح في مستوى الوعي اللغوي الباطن إلى ضرب من التسويغ الذهني ومن الاستدراك النفسي يُفضيان إلى تَقَبُّل المفهوم وكأنه شيء أليف أو كأنه معنىً حميم، بل كأنه منبثق من رحم الدلالات العربية المتأصلة في معجمها، وتمنى لو قدر لهذا المصطلح أن يتداول بين العرب بواسطة لفظه الدخيل كما حصل مع الإيدز أو السيدا، حتى يقوم بين العربي والعولمة حاجز نفسي تطول به فترة الاغتراب.

أما وقد وقعنا جميعاً في منة سخاء العربية فحري بنا أن نوقظ الوعي إلى التفريق بين العولمة المشتقة من الفعل، والعولمة المتمحضة للاسمية التي قد تصبح هي المرجع الأيديولوجي الجديد[61]، والتي يؤدي قبولها إلى عولمة كل شيء حتى الثقافة والفكر والدين، أي أن تسود الكون ثقافة واحدة ودين واحد، والذي يسود هو القوي، والذي يصمد أمام عواصف العولمة وأذرعة الهيمنة والسيطرة هو القوي ولا قوة بدون هُوية ولا هُوية بدون لغة، فماذا يراد بالعربية في عصر العولمة؟

وما موقف العرب تجاه لغتهم؟

---

(60) نفسه ص146 ـ 147.

(61) نفسه ص148.

الحرب على العربية وتهاون العرب في نصرتها وتقويتها:

واجهت العربية عبر عصورها المختلفة حرباً واسعة استخدمت فيها كل الوسائل الممكنة من اتهامات لها بالصعوبة، وعدم قدرتها على استيعاب العلوم، ومحاولات إضعافها بالدعوة إلى نشر اللهجات المحلية، ودعم تعلُّم اللغات الأجنبية، ومع أنه ثبت بطلان تلك الاتهامات وانكشاف غرض تلك الدعوات وانفضاح قصد تلك المحاولات، فإن الأعداء لم ييئسوا والمحاولات لم تتوقف، والإجراءات الكيدية لم تتخلف، ومن صور الحرب وإجراءاتها في هذا العصر عصر العولمة ما يأتي:

1 ـ الربط بين صورة العربي وصورة الإرهابي، وكذلك بين صورة المسلم وصورة الإرهابي، والرابط في العلاقة الأولى اللغة، وفي العلاقة الثانية الدين، فالعربية هي لسان العربي والقرآن هو دين المسلم، ولا دين بدون لغة عربية، وتعلم اللغة وتفقه الدين هما سبب التطرف والإرهاب في مذهب صناع العولمة ومهندسيها.

2 ـ إدراج اللغة العربية ضمن المرامي الاستراتيجية لمهندسي العولمة، فهم يحاولون إقصاء اللغة العربية عن جملة اللغات الرسمية في منظمة اليونيسكو بحجة الافتقار إلى المترجمين الفوريين الماهرين[62].

3 ـ تشجيع الغرب لدراسة اللهجات في الوطن العربي فجامعاتهم. والجامعات الفرنسية بخاصة تدعم دراسة اللهجات واللغات القديمة كاللغة البربرية في الجزائر[63]، ولم يعد غرضهم في ذلك خافياً، وإن تستر بالصفة العلمية البحتة في الدراسات الألسنية، بدليل أنهم لا يشجعون مثل تلك الدراسات للهجاتهم المحلية ولغاتهم غير الرسمية مما يدل على شبهة ما يسعون إليه وخطورة ما يعملون لتحقيقه، وهو إضعاف العربية وضرب الهوية.

---

(62) نفسه ص158.

(63) نفسه ص159.

4 ـ دعم الغرب لتَعَلُّم أبناء العرب اللغات الأجنبية، وتشجيع إنشاء مدارس اللغات في الأقطار العربية؛ وعقد تحالف بين الأجنبية واللهجة المحلية ضد العربية ليحصل الخلاف بين الفصحى فيكون الحل في اللغة المحايدة التي تنتظر أن تكون بديلاً حضارياً، فعلينا فك ذلك التحالف والتنبيه على خطورته والعمل على جعل العربية واسطة العقد بين اللهجات المحلية في الأقطار العربية، وهي كذلك حقاً؛ لذا يجب نشرها في جميع الأوساط وإحياؤها وتطويرها لتقوم بهذا الدور الجامع الموحد.

5 ـ إشغال ساسة العرب بأمور غير استراتيجية كالإرهاب والديمقراطية، وصرفهم عن قضية اللغة والهوية حتى صاروا لا يُوْلُون المسألة اللغوية حجمها الحضاري، فَغُيِّبَ عن أذهانهم أن بقاءهم وشعوبهم متوقف على بقاء هويتهم، وأن بقاء هويتهم مرهون ببقاء لغتهم القومية الجامعة[64].

6 ـ الحرب النفسية المتواصلة والمختلفة الأشكال لإحساس العرب بالهزيمة النفسية التي ولدت الشعور بأهمية اللغة الأجنبية والانبهار بكل ما هو أجنبي، والظن الزائف بأن التقدم لا يأتي إلا عن طريق إتقان اللغة الأجنبية والتحدث بها[65]، لذا فإن كثيراً ممن درسوا اللغة الأجنبية يعملون على نشرها بفتح مدارس لها في أقطارهم؛ لأن تلك اللغة أصبحت ذاتهم وهويتهم في تصورهم الزائف.

تهاون العرب في نصرة العربية وتقويتها:

في هذا العصر الذي تُشن فيه الحروب على الخصوصيات الثقافية، وتُنتهَك الهويات الحضارية، وتُدار فيه الصراعات اللغوية، وفي الوقت الذي تجلت فيه مظاهر ما عرضناه من صور واقعية للحرب ضدّ العربية، نرى تهاوناً عربياً في نصرة لسانهم، وتقاعساً عن تقوية لغتهم، في هذا العصر المعولم لكل ما يمكن أن يُعولم.

---

(64) نفسه ص183.

(65) اللغة العربية في عصر العولمة د. أحمد محمد الضبيب، مكتبة العبيكان، الرياض، ص16.

ومن مظاهر التهاون والتقاعس ما يأتي:

1 ـ ضعف عمل المجامع اللغوية، وبطء تجاوبها مع المتغير المعلوماتي المتسارع، وعدم إقامة مجمع لغوي عربي موحد[66]، وعدم الاستفادة من التطور المشهود في مجالات التواصل لنشر الأبحاث وتوزيعها.

2 ـ تعثُّر تعريب المناهج التعليمية، فالحاصل منه لا يلبي الاهتمام الكافي والكم المطلوب، إذا ما استثنينا الجامعات السورية، فهي رائدة هذا المجال، والنموذج الذي يجب أن يكون ويعم.

3 ـ عدم مواكبة مناهج التعليم للتسارع المعلوماتي والانفجار المعرفي، وقلة الربط بين تدريس اللغة العربية والمواد الأخرى؛ لتوسيع مجال التطبيقات اللغوية والربط بين اللغة الأدبية والعلمية وعدم تقرير سياسة استراتيجية للمسألة اللغوية، ما عكس عدم الاهتمام باللغة العربية في التعليم والإعلام، وغيَّب الثقافة اللغوية عن فضاء الثقافة العامة.

4 ـ غياب الحزم في تنفيذ ما يقرر من السياسات اللغوية، فَجُلُّ ما اتخذ من قرارات على مستوى الوزارات المختصة بالثقافة والإعلام والتعليم ما زال حبيس الأدراج، والواقع اللغوي المأساوي يتفاقم، حيث وصل الأمر في معارضة التعريب في الجزائر إلى نقطة إعلان الدولة رسمية اللغة البربرية، وإلى أن أصبحت أغلب اللافتات في بعض البلاد العربية باللغة الأجنبية.

5 ـ العربية تُخْنَق وتُغْتال في المحطات الفضائية والأرضية الرسمية وغير الرسمية وكلها رسمية، وكأن هناك عداوة بين القائمين على أجهزة الإعلام واللغة العربية، فهم لا يعطونها من الوقت إلا القليل ومن البرامج إلا غير المثير، ويظهرونها للجمهور بطريقة منفرة[67].

6 ـ عدم تشجيع الدراسات والبحوث العلمية الجادة التي تشخص حالة اللغة العربية في هذا العصر، وتجدد آليات تطويرها، وتنبه إلى مظاهر

---

(66) نفسه، ص169.

(67) اتقوا التاريخ أيها العرب د. عبد السلام المسدي ص171.

الانحراف، وتخطط للسير بها نحو المستقبل الأفضل.

عالمية اللغة العربية ومقومات حياتها في عصر العولمة:

ملامح عالمية العربية كثيرة ظاهرة لا يمكن طمسها، ومقومات حياتها ثابتة متجددة لا يمكن اجتثاثها، ومن هذه الملامح وتلك المقومات ما يأتي:

1 ـ اللسان العربي هو لغة حضارة كانت أساساً للنهضة الحديثة في جميع الميادين، فجذور هذه اللغة ممتدة عبر التاريخ، وقد أثبتت جدارتها وحقها في أن تصبح لغة عالمية، فشُهِدَ لها بسرعة الانتشار وسهولة الاندماج وقوة التأثير ومرونة التعامل، حيث نجحت في عصور الازدهار أن تكون أداة العلم والمعرفة.

2 ـ احتفاظ العربية بمنظوماتها الصوتية والصرفية والنحوية لأطول فترة يشهدها تاريخ اللغات، فهي اللغة الوحيدة التي عمرت سبعة عشر قرناً دون أن تتزعزع أنظمتها أو تضطرب قواعدها، فهذا المقوم العمري يجعلها قادرة على الاستمرار والصمود.

3 ـ اتصالها بجميع الميادين الثقافية، فهي الخصوصية القومية، وهي سياج الوحدة السياسية، ووعاء التراث، وبها حيوية الفكر العلمي والإبداع الأدبي، وهي، قبل ذلك وفيه وبعده، لسان القرآن ولغة الدين ونبضات الوجدان، فلا ثقافة عربية إسلامية بدون لغة عربية، ولا هوية للعرب بدون لغتهم، فالارتباط وثيق بين العربية والهوية، فهي عَلَم الهوية وعنوان الثقافة، والثلاثة في تلازم تاريخي واجتماعي وسياسي لا يمكن تفكيكه، لذلك تشن ضدها حملة عالمية باعتبارها لغة الإسلام، والإسلام من مستهدفات العولمة، ولا يمكن القضاء على الإسلام قبل القضاء على لغة القرآن.

4 ـ اللسان العربي لغة التعامل والدين والدولة في الأرض العربية، ولغة الدين لما يقارب من مليار مسلم، هؤلاء سند قوي للغة العربية، ورصيد عظيم يمكن تحويل جزء كبير منه إلى ناطقين بالعربية لأنهم يحبون العربية

لقداستها، ويتُوقون لتعلمها لشرفها، وهم لا يتأخرون عن نصرة لغة دينهم.

فقرار المخططين لاستراتيجية الثقافة العربية في مجال العمل العربي المشترك «أن امتلاك السيادة الثقافية داخلياً وخارجياً يتوقف في الأساس على سيادة اللغة العربية في وطنها وبين أبنائها أولاً»[68]، قرار صائب، ولكنه لا يكفي في عصر العولمة، ففي هذا الأوان لا بد من نشر اللغة العربية خارج حدود الوطن، والأرض الخصبة هي أرض المسلمين في جميع أنحاء العالم، فالمسلمون هم العمق الاستراتيجي للعربية، والسند القوي في حربها مع اللغات الأخرى، ومن الأراضي الجاهزة والمرحبة الأرض الإفريقية، فمن الواجب علينا استغلال هذا الفضاء للتمكين للعربية في المجال الحيوي لأمة القرآن.

علينا إنشاء مدارس العربية في تلك البقاع، واستقدام أبناء المسلمين إلى البلاد العربية؛ لتعليمهم لغة الدين وتكوينهم معلمين لنشرها، ودعاة لنشر الدين الإسلامي، ولعلّ أفضل نموذج في هذا السبيل هو جمعية الدعوة الإسلامية العالمية بالجماهيرية العربية الليبية، فقد بذلت جهوداً عظيمة في مجال تعليم اللغة العربية وإعداد الدعاة لنشر الدين الإسلامي، فأنشأت المدارس والمعاهد والكليات في إفريقية وغيرها من الأقطار الإسلامية، وتستقدم سنوياً العديد من الطلبة المسلمين للدراسة في كلية الدعوة الإسلامية بالجماهيرية وفروعها بالخارج.

5 ـ دخول العربية إلى أَرْوِقة الأمم المتحدة، حيث أصبحت سنة 1974م إحدى اللغات الرسمية في هيئة الأمم المتحدة، وقد أشرت في مبحث سابق إلى محاولات طردها من بعض منظماتها، والحق أن هذا أعظم ما قدمه ساسة العرب للعربية في العصر الحديث، وهذا أوضح ملمح رسمي على عالميتها وأعظم مقوم وجودي لها إذا تم التمسك وبه الحفاظ عليه.

---

(68) الثقافة العربية وعصر المعلومات د. نبيل علي، ص288.

6 ـ من خصائص العربية العالمية التوسط النظمي والتوازن اللغوي والتآخي بين منظوماتها، وقد أشرت إلى هذا في مبحث سابق، فهي لغة وسطية، وهذا ملمح دال على عالميتها ومقوم ذاتي لحياتها، وهي كذلك قادرة على أن تكون لغة حوار فعالة، ما يستوجب استخدامها في أنماط الحياة الواقعية وفي عمليات التعامل اليومي، وهذا يستلزم تقوية الأداء الشفوي والتمكين للدربة السليمة على الخطاب والحوار.

7 ـ هناك مبادرات جادة لتطوير معالجات آلية لفروع اللغة العربية صوتاً وصرفاً ونحواً ومعجماً، ستكون أساساً لنظم أعمق في المعالجة مثل نظام الفهم الآلي، ونظام التلخيص، وفي هذا إشعار بالتفاؤل العلي[69]؛ أساسه خاصية الاتساع والمرونة، وفيه دليل على التجاوب مع العولمة أساسه القدرة على التطوير.

8 ـ اللغة العربية من بين أربع لغات مرشحة للبقاء في ساحة التداول العالمي، وهي اللغة الإنجليزية والإسبانية والعربية والصينية، كما جاء عن الكاتب الإسباني كاميلو جوزي سيلا في تقديراته الاستشرافية حول مصير اللغات الإنسانية، وكشفه عن تنبؤاته المستقبلية المتصلة بما ستؤول إليه الألسنة البشرية العالمية المنتشرة اليوم[70]، وهذا التنبؤ اللغوي يجب أن ينبهنا إلى عدة أمور: منها كشف اللثام عن أطراف الصراع الحضاري، فالعرب رابع أربعة في هذا الصراع، قد يكونون هم الطرف الأضعف وقد يكونون هم المستهدف الأول، ولا بد من التهيُّؤ لكل احتمال، ومنها أن بواعث هذا الاصطفاء وأسبابه قد تكون أن العربية لغة سليقية، وما زالت هذه الصفة ملازمة لها، وقد تكون أن العربية لغة منضبطة القواعد متأصلة الخصائص متجددة النمو، وقد تكون أنها لغة القرآن وما زال القرآن يتلى والدين ينتشر، وقد يكون غيرها من الأسباب والأسرار، والواقع الذي يخشى

---

(69) اتقوا التاريخ أيها العرب ص153 ـ 154.

(70) نقلاً عن جريدة الصباح في مقال المحلل السياسي عبد اللطيف الفراني (العربية إحدى لغات المستقبل) تونس ـ أجويلية ـ تموز 1997م.

أنهم يحسبون لكل سبب ألف حساب ويعدون الخطط وينفذونها، ونحن لا نقاوم، ومقومات الاستمرار ذاتية وعالمية.

9 ـ إذا كنا قد انهزمنا سياسياً ووقفنا مكتوفي الأيدي نتفرج على القدس تنتهك وهي ثالثة ثلاثة مقدسات للمسلم فلا ينبغي لنا أن يكون موقفنا تجاه العربية تغتال وهي ثالثة ثلاثةِ مكونات للعربي، فذلك يحقق الانهزام الثقافي والانكسار الذاتي والفناء الحتمي، فلغتنا بخصائصها الذاتية وعوامل تطورها وآليات تطويرها ومقومات حياتها قادرة على التجاوب مع متطلبات العولمة في مستواها الثقافي، وقادرة على الصمود والانتصار إذا ما أحكمت الخطط ونفذت، وأخلصت النوايا وصدقت.

10 ـ شبكة الاتصالات وتقنيات التكنولوجيات في خدمة العربية إذا أحسن الاستفادة منها في تسهيل التواصل بين الباحثين، وتيسير تعلم العربية في دور تعليم الصغار والكبار وفي المنازل، وللأعاجم الذين يدينون بالدين الإسلامي، عن طريقها نعلمهم العربية وأحكام الشريعة، فبالإمكان الوصول إليهم عبر الفضائيات وعبر شبكات الاتصال، على أن يسير ذلك إلى جانب دَوْرِ المساجد في تعليم اللغة العربية والقرآن الكريم، بل يجب أن يزداد دَوْرُ المساجد في هذا المجال.

علينا أن نجعل العولمة نعمة على اللغة العربية تسهل نشرها وتيسر تعلُّمها، وذلك بالاستفادة من التطور المعلوماتي المتسارع في صنع البرامج التعليمية وتحسينها، ونشر الثقافة وتعميم الفائدة، فبتكنولوجيا العصر يمكن أن ننصر لغتنا وننشر ديننا ونحمي هويتنا، وبها يمكن أن يحدث العكس فتندحر العربية وتتقلص حدودها ويُقضى عليها، وهذا ما يصبو إليه صناع العولمة ومهندسوها، فالعولمة سلاح ذو حدين إما أن ندافع به عن أنفسنا وإما أن يقطع لساننا عنوان هويتنا.